اولو الامر

<"xml encoding="UTF-8?>

احتدم الجدل في سقيفة بني ساعدة حول مسألة الخلافة و شخص الخليفة وأبدي كلٌّ فريق حججه و أدلّته في إثبات حقّه و محاوّلة حسم الصراع في صالحه، و دارت المناقشات الحامية التي ندر فيها استخدام لفظ الإمام، فيها نجد كلمات أخري كثُر استخدامها من كلا الفريقين؛ من قبيل: الأمر، أوّلو الأمر وأحقّ بالأمر، و صاحب الأمر.

ولهذه الكلمة جذورها العميقة منذ فجرالدعوة الإسلامية يوم كان سيّدنا محّمد (صلي الله عليه و آله و سلم) يدعو قومه الي الإسلام في مكة، فقد دعا رسول الله عشيرته الأقربين و أوّلم لهم طعاماً ثم خطب فيهم و بيّن لهم رسالته، وقال: "أيّكم يؤازرني علي هذا الأمر علي أن يكون أخي و وصيي و خليفتي؟". فأحجم الجميع و التزموا الصمت، و عندها نهض علي بن أبي طالب و كان يومها فتيً، فهتف بحماس الشباب: أنا يا نبي الله أكون وزيرک.وعندها أخذ النبي برقبته و قال: "إن هذا أخي و وصيي و خليفتي فيكم، فاسمعوا له و أطيعوا "1.

ويوم جاء المشركون الي أبي طالب يطلبون منه أن يكفّ ابن أخيه و الّا يعترض الي آلهة قريش بسوء فقال رسول الله لعمّه:

-يا عمّاه لو وضعوا الشمس في يميني و القمر في يساري علي أن أترک هذا الأمر ما تركته حتي يظهره الله أو أهلک دونه "2.

ورسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) كان يتمتع بمقامين؛ الأوّل: كمبلّغ للرسالة و الوحي و شريعة السماء كما أنزلها الله سبحانه.

والثاني: كحاكم و قائد للمسلمين و مسؤول عن تنفيذ إحكام الله و تطبيق الشريعة في الأرض، و أدارة المجتمع الإسلامي و هدايته باتجاه الصلاح و خير الدارين.

وكان هذا جزءاً من نبوّته و رسالته، حتي يمكن القول ان "الأمر" الذي أشار اليه سيدنا محّمد (صلي الله عليه و آله و سلم) منذ فجر دعوته هو هذا الجانب من الرسالة. ومن المنطقي أن نفهم أن هذه المسؤولية كان يتحملها

رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) وحده ما دام حيّاً لا يشاركه فيها أحد، و لذا أسلم المسلمون إليه واستجابوا له مطيعين، فلما التحق بالرفيق الأعلي شبّ النزاع وانفجر الصراع.

وبعد أن تمّت البيعة لأبي بكر قال أبو عبيدة لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام): يابن عم انّك حديث السن و هؤلاء مشيخة قومك، ليس لک مثل تجربتهم و معرفتهم بالأمور ولا أري أبابكر إلا أقوي علي هذا الأمر منک و أشدّ احتمالاً و اضطلاعاً به، فسلم لأبي بكر هذا الأمر، فانّک ان تعش و يطل بک بقاء، فآنت لهذا الأمر خليق وبه حقيق في فضلک و دينک و علمک و فهمک و سابقتک ونسبک و صهرک.

فقال علي كرّم الله وجهه: الله الله يا معشر المهاجرين ل اتخرجوا سلطان محّمد في العرب عن داره و قعر بيته الي دوركم و قعور بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس و حقه"3.

وقال معاوية لابن عباس: يا بن عباس، انّا كنّا و إيّاكم في زمان لا نرجو فيه ثوابا، و لانخاف عقاباً؛ وكنّا أكثر منكم، فوالله ما ظلّمناكم و لا قهرناكم و لا أخّرناكم عن مقام تقدمناه، حتي بعث الله رسوله منكم، فسبق إليه صاحبكم، فوالله ما زال يكره شركنا و يتغافل به حتي و لي الأمر علينا و عليكم ثم صار الأمر الينا و اليكم فأخذ صاحبنا علي صاحبكم لسنه"4.

وقال معاوية لعلي و سائر الناس "ليسلبنّ أمركم و ليُنقلنّ الملک من بين أظهركم"5.

وكتب علي بن أبي طالب (عليه السلام)الي أخيه: "فقد قطعت قريش رحمي و ظاهرت علي وسلبتني سلطان ابن عمي"6.

وجاء في رسالة للامام الحسن الي معاوية: فلمّا توفي رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) تنازعت سلطانه العربّ، فقالت قريش: نحن قبيلته و أُسرته وأوّلياؤه و لا يحلّ لكم لن تنازعونا سلطان محّمد (صلي الله عليه و آله و سلم) وحقّه، فرأت العربٌّ ان القول كما قالت قريش و ان الحجّة لهم في ذلک علي من نازعهم أمر محّمد (صلي الله عليه و آله و سلم) فأنعمت لهم العرب و سلمت ذلک"7.

وفي السقيفة كان عمربن الخطاب يهدر بكلّماته مستنكراً موقف الأنصار: من ينازعنا سلطان محّمد (صلي الله عليه و آله و سلم) و ميراثه و نحن أوّلياؤه وعشيرته إلا مدلّ بباطل أو متجانف لاثم أو متورط في هلكة"8.

وهكذا نجد "الأمر"لا ينفک عن كلّ حديث يتنأوّل خلافة النبي (صلي الله عليه و آله و سلم)في الحكم و الإدارة.

ويمكن القول ان (الأمر) هو بمعناه الأساس الذي يفيد إصدار الأوامر، و من هنا جاء توظيفه في إصطلاحات متعددة مثل صاحب الأمر و "أوّلو الأمر"و من تكون أوامره نافذة، واحبة الطاعة.

ويمكن القول إنّه بمعني الشأن، فصاحبه شخص ينهض بمسؤولية قيادة الامّة ورئاستها9.

_____

1. الكامل في التاريخ: ج2ص63.

2. تاريخ الطبري: ج2ص67.
3. الامامة و السيا سة: ج1ص12.
4. المصدر السابق: ص28.
5. المصدر السابق: ص30.
6. المصدر السابق: 55.
7. مقاتل الطالبيين ص35.
8. الامامة و السياسة: ج1 ص8.
9. من كتاب دراسة عامة في الامامة.